من أوراق الرئيس (35)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

.. وفى داخل الكعبة
طلب القذافى شيئاً غريباً !

وعند منتصف الليل كان لابد أن يذهب الرئيس السادات إلى مركز القيادة. فالأمر خطير. والقرار الذى يجب أن يتخذه ليس عسكريا فقط ، وإنما هو قرار سياسى. ولكن أحمد إسماعيل خشى أن يفزع الرئيس السادات بتفاصيل الموقف. وكان الأطباء قد حذروا الرئيس السادات من أثر الكورتيزون على قدرة أحمد إسماعيل فى اتخاذ القرار .. وطلب الرئيس السادات من القادة أن يشرح كل موقعه. ولم يكن الموقف مفزعا هكذا .. إذن لم يكن هناك معنى للانسحاب التام من سيناء ، ولا معنى لإنهزامية الشاذلى مضافة إلى انهزامية صادق قبل ذلك ، ثم القذافى فى جميع الأوقات ..

واتخذ الرئيس قرارا بالبقاء وبالاستعداد للحرب فى طنطا والمنيا وأسوان. وكان لابد أن يظهر القذافى فى صورة شاذة وأن يأتى بعمل عجيب فى أى مكان .. وهذا ما حدث .. وما سوف يحدث ..

وقبل أن استدعى أحمد إسماعيل ليكون وزيرا للحربية تذكرت ما الذى أصاب هذا الرجل. فأحمد إسماعيل رجل عسكرى فقط. حياته عسكرية. وثقافته عسكرية. ولا شأن له بالسياسة. فعندما كنا معا فى منقباد سنة 1938 وما بعدها لم نقترب منه سياسيا. واقتربنا من كثيرين معه وحوله .. إلا هو. فقد عرفنا بالتجربة أنه مشغول بالعلم العسكرى فقط. هذا الرجل فقد ضربته مراكز القوى ضربا لا هوادة فيه ولا رحمة. فبعد مقتل عبد المنعم رياض اختاره جمال عبد الناصر رئيسا للأركان لأنه أكفأ من يتولى هذا المنصب. وكان ذلك سببا كافيا لأن تتجمع حوله مراكز القوى حتى طرده جمال عبد الناصر. وأقعده فى البيت بمعاش شهرى ستون جنيها. وكان عليه فى ذلك الوقت أن يجهز بناته للزواج. ولكن الرجل احتمل هذه الإهانة البالغة ، ولم يفتح فمه بكلمة أو شكوى. وإنما طوى نفسه على جرحه وألمه.

وقد زارنى فى ذلك الوقت فى بيتى بالهرم وقال لى ، وكان مصيبا فى ذلك : أنا أعلم علم اليقين أنهم لم يرتاحوا إلى .. فقد كانوا يريدون محمد صادق ، لا واحدا مثلى !

وبالفعل كان ذلك ما يريدون. وتكاثروا عليه ، وأطاحوا به وأتوا بمحمد صادق. واستدعيت أحمد إسماعيل وكنا فى شهر رمضان. وللصيام عندى معنى خاص. ففيه صفاء وشفافية وقرب من الله سبحانه وتعالى. والصيام عندنا فى مصر : علاقة بين الإنسان وربه .. فالصائم يقول إنه صائم. وهو بالفعل كذلك. ولكن فى بلاد إسلامية أخرى يتظاهرون بالصوم ويحاسبون بشدة كل من يجاهر بالإفطار. ولكننا فى مصر صادقون فى أداء هذه الفريضة التى لها عميق الاحترام . .

ولا أزال حريصا على متعة الصوم. فأنا أصوم كل يوم خميس. وأرى فى ذلك راحة نفسية وجسمية وصفاء عقليا.

ولما استدعيت أحمد إسماعيل وكان ذلك فى أكتوبر سنة 1972 طلبت إليه أن يرافقنى بعض الوقت فى رياضتى اليومية وهى المشى. فأنا لابد أن أمشى ساعة كل يوم أى ما يعادل أربعة كيلو مترات.

قلت له : يا إسماعيل

قال : نعم

قلت : أريد أن أذكرك بشئ.

قال : تفضل

قلت : هل تذكر بعد ما عينتك مديرا للمخابرات فى الساعة الأولى من صباح 13 مايو سنة 71 أنك قلت لى شيئا ما .. غريبا. هل تذكره ؟

قال : لا يا أفندم

قلت : ألا تذكر أنك جئت وقلت لى شيئا عن محمد صادق ..

قال : أذكر يا أفندم .

قلت : أنت قلت لى أن محمد صادق لا يستطيع أن يعمل معركة .. هذا بالضبط ما قلته لى فى ذلك اليوم ..

قال : تمام يا أفندم

قلت : يا إسماعيل أريد أن أعرف منك الآن على أى أساس بنيت هذا الحكم .. أو ما هى حيثيات مثل هذا الحكم الخطير ؟

قال : أريد أن أقول لسيادتك شيئا يا أفندم .. أنت عينتنى مديرا للمخابرات. وأنا سعيد جدا بهذا المنصب. ووجدت فيه ردا لاعتبارى. وأحمد الله على ذلك وأنت صديق وعزيز على. ولذلك لن أكذب عليك فى حرف واحد. لقد بنيت هذا القرار على أن محمد صادق ليس مؤهلا عسكريا لذلك .. وليست لديه مواصفات قائد المعركة التى تديرها ..

قلت : أريد أن أعرف منك أساس هذا الحكم يا إسماعيل.

قال : يا أفندم أطلب من محمد صادق أن يقدم لك خطة. إذا قدمها ، فهو إذن قادر على أن ينفذ المعركة التى تريدها. وفى هذه الحالة أكون أسأت التقدير ، أو حكمت عليه من خلال غضبى وانفعالى وسخطى على مراكز القوة .. ولكنى أؤكد لك أنه لن يفعل. لأنه لا يستطيع أن يقدم شيئا من ذلك.

** ونحن العسكريين نعرف بعضنا البعض ، معرفة تامة. ونعرف أن فلانا هذا عسكرى وهذا لا علاقة له بالعسكرية .. وخصوصا إذا كان هؤلاء العسكريون من دفعة واحدة. والدفعة عندنا كالأسرة بل أكثر من العائلة. لأننا جميعاً نعيش معا حياة كاملة. ولذلك فنحن نعرف كل شئ عن أى شئ يتعلق بنا جميعا.

وكان وضع الخطة وتنفيذها عملا عسكريا علميا شاقا. وقد تحدثت عن ذلك فى مناسبات كثيرة.

وما توقعه أحمد إسماعيل قد حدث : فلم يقدم لى محمد صادق أية خطة. إذن فالرجل لا يستطيع أن يحارب !

وسوف يكتب التاريخ عن هذه العملية العملاقة التى حققناها فى أكتوبر. أن أكثر الناس رغم ما قيل فى كل لغة ، ينسون حجم ووزن ومساحة وقيمة العملية الجبارة التى تحققت على قناة السويس وعبرها .. على 170 كيلو مترا من بورسعيد إلى السويس. ودخلنا فيها بفرق ورؤوس كبارى كما حدث تماما فى معركة نورماندى الشهيرة فى الحرب العالمية الثانية .. فهم اشعلوا معركة نورماندى بخمسة جيوش ونحن اشتركنا بخمس فرق وبمنتهى التنسيق بين البر والبحر والجو..وهذا ما لا تقدر عليه إلا الدول العظمى. وليس هذا مبالغة فيما أقول. فقد قال المعلقون العسكريون المحايدون ما هو أكثر من ذلك.

وقد شاركت إسرائيل بضباطها الكبار فى الحرب العالمية الثانية .. ولذلك فقد اكتسبوا خبرات واسعة أفادتهم فى معاركهم ضدنا. ومثل هؤلاء الضباط يقال عنهم عادة أنه تم

"تطعيمهم عسكريا" وهذا التطعيم معناه أنهم جربوا وتذوقوا واستفادوا وعادوا بخبراتهم إلى جيوشهم ..

ومع ذلك واجهنا إسرائيل بأربعة آلاف مدفع بصورة مكثفة من ضفتنا الغربية تصب نارنا عليهم فى ضفتنا الشرقية للقناة .. وكانت عندنا 222 طائرة تدكهم دكا .. وخمس فرق بطولية ، مفخرة لمصر وللأمة العربية ولتاريخ النضال القومى ..

** ولولا التنسيق العلمى الدقيق بين كل هذه القوى لما تحقق لنا النصر بل لأصابتنا مدافعنا ، ولأسقطنا نحن طائراتنا ، وقتلنا جنودنا .. ولكن العلم قد حمى إيماننا بالنصر ، كما أن إيماننا بالنصر قد سدد علمنا ضد عدونا. فالحمد لله على ذلك .. وعلى أن اسم مصر ، أصبح محترما عند الصديق وعند العدو أيضا .

ولو استعرضنا ضباط إسرائيل المطعمين بالقتال لوجدنا إيجال يادين الذى هو رئيس الحركة الشعبية للتغيير وموسى ديان الذى كان وزيرا للدفاع وهو الآن وزير الخارجية .. وكذلك اسحاق رابين الذى عمل فى الجيش الأمريكى وهو أضعفهم وأتفههم جميعا ..

*****

ومضيت مع أحمد إسماعيل نتكلم فى موضوعات كثيرة. ولكنى كنت أحاول أن أقترب من شئ ما فى نفسى وفى نفسه أيضا. وقد أدرك أحمد إسماعيل ذلك ، وهو رجل ذكى وفى نفس الوقت شديد الحيطة. وأعتقد أنه أدرك ما أريد ، ولكنه تظاهر بأنه لا يعرف فسألنى : سيادتك تقصد ماذا يا أفندم. أنا لم أفهم شيئا حتى الآن .

قلت : يا إسماعيل أنت ابتداء من الليلة قائد عام للقوات المسلحة ووزير الحربية لأننى قد أقلت محمد صادق ..

فقال لى أحمد إسماعيل : يا أفندم أنا سعيد بعملى. ولا أطمع فيما هو أكثر من ذلك .. وهذه المسئولية التى تضعها على كتفى كبيرة وخطيرة. وتدل على مدى ثقتك فى قدراتى .. وباسم الصداقة وتقديرك العظيم وثقتك التامة ، فإنى أقبل هذه المهمة الوطنية الجليلة .

وكان ذلك قبل مدفع الإفطار بقليل .

ولاحظت أن أحمد إسماعيل أصبح مهموما. وأنا أحب الرجل الذى يأخذ الأمور مأخذ الجد . وأكره الرجل الذى يستخف بالأشياء . أو ينظر لكل شئ على أنه سهل. ولكن الرجل الذى يقدر المسئولية ويرى أنها عبء ولأنها عبئ يجب أن يتفرغ لها والتفكير فيها ليلا

ونهارا فلا يصرفه عنها أى شئ ، هذا هو الطراز من الرجال الذى يعجبنى .. ولما رأيت أحمد إسماعيل مهموما ، أدركت أن الرجل قد حمل المسئولية منذ تلك اللحظة. وأشهد أنه رحمه الله كان رجلا جادا وصادقا.

والتفت إلى اللواء أحمد إسماعيل لأقول له : أنت الآن رجل مدنى. فليست عندك بدلة عسكرية. أذهب وأحضر بدلة عسكرية وعليها رتبة الفريق أول. وتعال فى الساعة الثامنة لتحلف اليمين.

وخرج الرجل مذهولا أو مشغولا لدرجة الذهول. وفى الساعة المحددة أقسم اليمين. وذهب إلى مكتبه ووجد سعد الشاذلى فى انتظاره ..

قال له سعد الشاذلى : تمام يا أفندم .. أنا رئيس أركان حرب القوات المسلحة. وعندى أوامر من الرئيس بذلك .. وبأنك سوف تكون قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية ..

** وتسلم أحمد إسماعيل مهام عمله. دون أن تكون هناك لحظة فراغ فى قيادة القوات المسلحة. وهذا عرف عسكرى وضرورة حربية حيوية – كما ذكرت. والتقى الرجلان على ما بينهما من خلافات شديدة ، سوف تشتد وتحتد حتى تنقطع .. ولكنى رغم ذلك قدرت فى سعد الشاذلى إحساسه بالمصلحة الوطنية ، فجعلته سفيرا فيما بعد !

*****

ومن الضرورى أن أعود قليلا إلى مركز القيادة بعد أن حدثت "الثغرة" ..

والثغرة فى التعبير العسكرى : بالضبط هى أن نبحث فى خط دفاعى عن فجوة .. عن ثغرة ندفع إلى داخلها بقوات. ففى سيناء كانت لنا خمس فرق ، لم تتعرض واحدة للإبادة .. علما بأنه فى الخطة الأساسية كنا نتوقع حتى لو حدثت خسائر فادحة فى فرقتين من الفرق التى هى رؤوس كبارى على الضفة الشرقية ، فإننا نكون قد كسبنا المعركة بدرجة 90% .. ولكن الذى حدث هو أن هذه الفرق لم تمس أثناء الثغرة. ودخلت الفرق الخمس وأخذت أماكنها.

وفى مركز القيادة رقم 10 الذى سنحوله إلى أحد المعالم السياحية ، لأنه أصبح معروفا. ومن الطبيعى أن نكون قد بنينا مراكز أخرى فى أماكن أخرى كان القائد على يمينى وعلى شمالى كان رئيس الأركان سعد الشاذلى فملت إليه قائلا: يا شاذلى.

قال : نعم

قلت : تذهب فورا الآن إلى القناة وتتولى القيادة هناك لتغطية الثغرة بالشكل الآتى :

تقوم بحصار على البحيرات المرة التى تبدأ عند الدفرسوار وتنتهى عند كبريت .. تحاصرها وتترك اليهود ينزلوا .. فإذا نزلوا حاصرهم تماما .. لأن كل قوة يهودية تتسرب هى غنيمة لنا ..

ولكن الشاذلى ارتكب شيئا خطيرا. فقد أضاع 16 ساعة .. هذا الرقم ليس شيئا قليلا ، وإضاعة هذه الساعات ليست شيئا هينا ..

فالدقيقة لها ثمن. والثمن حياة وخطوة إلى الأمام. وقد أضاعها سعد الشاذلى فى أن بينى له مركز قيادة. بينما أنا أرسلته إلى الميدان ليوقف تقدم اليهود ويحاصر البحيرات ويحصرهم ويخنقهم ويتصيدهم.

صحيح ، وأكرر ذلك ، أن الثغرة كانت مقتلا لليهود. ولكن كان فى الإمكان تفاديها.

وأذكر أننى عندما كنت فى عمان لأول مرة بعد المعركة ، كنت أرى أنوار القدس .. وانتهزت هذه الفرصة وأعلنت فى الإذاعة الأردنية : أننى أتحدى إسرائيل أن تعلن عن خسائرها فى الثغرة .. ولم تذع إسرائيل شيئا من ذلك ..

وفيما بعد أعلنوا أن الثغرة كانت "وادى الموت" لقواتهم .. وحتى بعد رفض اليهود فك الاشتباك الثانى وبعد أن اعلنوا أنهم استرجعوا كل جثث قتلاهم. أعددت لهم مفاجأة وكان عليهم وحدهم أن يفسروها ويبررها ويدافعوا عنها. طلبت إليهم أن يستلموا جثثا مجهولة .. 39 جثة أخرى. وكانت صدمة لليهود. لأنهم يعلنون دائما أنهم يعرفون كل شئ .. وأنهم الدولة الوحيدة فى العالم التى ليس فيها قبر للجندى المجهول لأنهم يعرفون قتلاهم ..

وقد أدى ذلك إلى فضيحة فى إسرائيل. وثورة على الحكومة. وكان من بين الجثث ضابطان أقيمت لهما جنازة عسكرية ضخمة.

وبعدها بدأ اليهود يراجعون حساباتهم .. ولكنهم لم يعلنوا عن خسائرهم فى هذه الثغرة التى كان محكوما عليهم عسكريا بالفشل والإبادة لو طال بقاؤهم فيها وتمسكهم بها .. ولكنهم لم يفعلوا وهذا من الناحية العسكرية ، معروف مقدما !

وقد وصف لنا أحد الأسرى من الطيارين اليهود فداحة الخسائر فى هذه الثغرة .

*****

** وفى يوم 19 أكتوبر فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فوجئت بالقائد العام أحمد إسماعيل يطلبنى لأمر هام. وفهمت منه أن الأمر سياسى وعسكرى معا. وأنه لابد من الحضور فورا ..

وكان ذلك شيئا خطيرا. وراحت الأفكار تدور فى رأسى وتدور به .. وفى مثل هذه الأزمات التى اعتدت عليها ، فإننى استدعى احتياطى الصبر والهدوء .. فقد رأيت فى حياتى الكثير من المواقف الصعبة والمشاكل المعقدة والأزمات الحادة. وقد أورثنى ذلك أن أكون فى مواجهتها هادئا حتى لا يزداد الخطأ فداحة ، وحتى لا تهتز الصورة أمامى ، أو حتى لا أهتز أنا أمام هذه المحن ..

وفى هذه القيادة التى شيدت تحت الأرض ولا تصيبها القنابل النووية لو سقطت عليها مباشرة وجدت جوا من الوجوم.

وقبل أن أحضر إلى القيادة كان المرحوم أحمد إسماعيل مريضا. اشتد عليه مرض السرطان. ثم إن الموقف خطير. ولا يستطيع أن يبدى فيه رأيا. لأن القرار الذى يجب أن يتخذ ليس عسكريا فقط ، وإنما هو قرار سياسى ، وتقلب الرجل المريض فى فراشه. وامتدت يده وارتدت عن التليفون يريد أن يطلبنى وهو فى نفس الوقت يخشى من وقع هذه المكالمة على نفسى ..

ولكن حسنى مبارك أصر على ضرورة الاتصال بى ليقف كل إنسان عند حده. فسعد الشاذلى قد جاء من الجبهة يطلب الانسحاب الكامل من سيناء. ولكن حسنى مبارك يرى أننا منتصرون ومحمد على فهمى قائد الصواريخ يرى كذلك .. ولكن سعد الشاذلى هو أول من بشرهم بالهزيمة والتسليم بها .. فهو أيضا مثل صادق من قبله والقذافى .

وخشى أحمد إسماعيل أن يطلبنى. ولكن حسنى مبارك طلبنى ثم أعطى التليفون لأحمد إسماعيل. وعندما دخلت مركز القيادة وجدت هذا الصمت الرهيب !

وكان الأطباء قد أخبرونى أن حالة أحمد إسماعيل لا تؤهله لأن يحمل هذه الأعباء. فآلام السرطان مروعة. ثم إن كمية الكورتيزون التى يتعاطاها لوقف استشراء السرطان ، تجعله غير قادر على التفكير السليم واتخاذ القرار ..

ولو جعلت أحمد إسماعيل نائبا لرئيس الجمهورية تكريما له ، وفى نفس الوقت إبعادا له عن مركز القيادة واتخاذ القرار ، فسوف يدرك أننى أبعدته .. أو أننى أقصيته عن موقعه..

مع أن الذى اقصده شئ آخر يعرفه الأطباء ، وصارحونى به ، ولم يصارحوا به أحمد إسماعيل.

ونهض أحمد إسماعيل من فراشه.

وسألته : خير إن شاء الله.

قال : والله يا أفندم لقد عاد رئيس الأركان سعد الشاذلى من الجبهة يقول : إن الرئيس يجب أن يبحث له عن حل سياسى. وأنه من الضرورى أن نسحب الجيشين الثانى والثالث من سيناء لأن اليهود قد دخلوا الثغرة وأنهم سيطوقون هذين الجيشين .. وأن شيئا مروعا من الممكن أن يحدث فى أى وقت .. ولابد من الانسحاب حفاظا على مدينة القاهرة.

قلت لأحمد إسماعيل : هات القادة جميعا

وجاء القادة كلهم ..

وقلت لمدير العمليات : يا جمسى ..

قال : نعم ..

قلت : هات الخريطة. واشرح لى الوضع. وحكى لى الجمسى الصورة كاملة ..

وقلت لحسنى مبارك : يا حسنى .. اشرح لى الوضع

وطلبت من محمد على فهمى قائد الصواريخ أن يقدم لى صورة قواتنا ..

لقد كان الوضع كله مطمئنا. والصورة مشرفة ومشرقة. وأدركت سر الوجوم فى مركز القيادة فالانسحاب معناه أن نترك كل ما كسبناه فى لحظة. إنها لحظة عار .. لحظة طولها مئات السنين من الهوان لمصر وللأمة العربية ..

سألت أحمد إسماعيل : ما رأيك يا أحمد ؟

قال : يا أفندم الوضع كله أمامك.

قلت لكل القادة : الآن .. أحب أقول لكم جميعا أولا : لا انسحاب لعسكرى أو بندقية أو دبابة من الضفة الشرقية. ويبقى كل شئ وكل الناس فى مواقعهم ..

ثانيا : تخطر جميع وحدات القوات المسلحة بأننا سوف نتعامل مع الثغرة على مستوى القيادة العامة ، وعليهم أن يستمروا فى خططهم. ثالثا :

يعزل سعد الشاذلى رئيس الأركان .. ويعين عبد الغنى الجمسى ابتداء من الساعة الواحدة من صباح 20 أكتوبر رئيسا للأركان .. رابعا :

الشاذلى يجب ألا يشعر بهذا القرار ولا القوات المسلحة ، حتى لا يكون له أى رد فعل.. وسوف يعمل الجمسى رئيسا للأركان بدون إعلان.

وقلت لأحمد إسماعيل أن يجنب سعد الشاذلى أية مسئوليات .. ثم قلت لجميع القادة الجالسين أمامى : لعلمكم جميعا ، سأحارب فى طنطا وفى القاهرة وفى المنيا وفى أسوان. ولن أستسلم. سأحارب فى كل مكان.

وحسنى مبارك هو أول من تنبه إلى أن اليهود يريدون أن يكرروا نفس الحيل التى أوقعونا فيها 1956 و1967 .. وهى أنهم يقومون بإرباك القيادة العسكرية.

فإذا ارتكبت القيادة نفسيا ، فإنهم يستدرجونهم إلى معارك أخرى وبذلك تنسى القيادة خطتها الأساسية. وتعمل على الخطة التى وضعها اليهود.

ولذلك فإن حسنى مبارك هو الذى قال لأحمد إسماعيل : إننا فى وضع ممتاز. يريدون أن يستدرجونا إلى نفس المصيدة التى وقعنا فيها فى حرب 56 وحرب 67 .. ولذلك يجب أن نطلب الرئيس للحضور ليضع كل إنسان عند حده وفى مكانه ..

وحسنى مبارك كقائد أعصابه هادئة وقادر على أن يتحرك وينفذ ببرود شديد .. وعندما كلفته بالدفاع عن مصر من القاهرة إلى أسوان وألا يسمح لليهود أن يضربونا. فقد حقق ذلك تماما ، رغم التفوق التكنولوجى لليهود. ولو استطاع اليهود أن يتفوقوا علينا جويا ، هذه المرة ، لكان لهم النصر المطلق علينا إلى الأبد !

** وفى صباح 20 أكتوبر جاءنى حسنى مبارك ومحمد على فهمى فى قصر الطاهرة. وأكد لى الاثنان : أن الوضع سليم. وأننا فى غاية القوة ، وأنه لا خوف علينا. وأن مجيئى للقيادة قد أنهى وضعا رهيبا.

ولم يعلم سعد الشاذلى أنه عزل فى ذلك اليوم ، وإنما شعر فقط أن أحدا لا يرجع إليه فى شئ. وذلك لأننى عينت الفريق الجمسى بدلا منه وهو رجل منضبط تماما.

وبعد فك الاشتباك الأول طلبت من أحمد إسماعيل أن يخبر سعد الشاذلى بأنه تقرر تعيينه سفيرا فى وزارة الخارجية. واعتبرها سعد الشاذلى إهانة بالغة أن يستدعيه أحمد إسماعيل زميله وخصمه ويخطره بهذا القرار. فرد عليه بأنه مستقيل ..

وحدث قبل ذلك تكريم للقوات المسلحة فى مجلس الشعب. وفوجئت بأن القذافى يريد أن يحضر ليشارك فى هذه الحفاوة. ولم أوافق. وتوسل القذافى عند واحد من زملائه يعرف أننى أحبه هو أبو بكر يونس ..

وفجأة وجدت أن أبا بكر يونس يكلمنى فى التليفون لأننى رفضت أن أكلم القذافى. وإذا بأبى بكر يونس يعطى التليفون للقذافى. وقال لى : أرجو أن توافق على أن أحضر حفلة تكريم القوات المسلحة فى مجلس الشعب.

** وعنفت القذافى فى التليفون بما لا يصدقه عقل. وهذه المكالمة مسجلة ، لأن كل المكالمات الخارجية مسجلة .. وراح القذافى يقول : أنا ابنك. ومن حقك أن تضربنى بالكرباج.

فقلت : تعال. لا مانع. وحضر حفل توزيع النايشين على القوات المسلحة وشارك فى توزيعها أيضا. وبعد ذلك اتهم القذافى حرب أكتوبر بأنها هزيمة للقوات المسلحة ونكسة للأمة العربية ؟ !

وبعد هذه الحفلة بيومين كان لابد أن نسافر إلى المؤتمر الإسلامى فى لاهور ، وكان القذافى حريصا ، كما قال لى فى التليفون ، على أداء العمرة .

** وفعلا ذهبنا لأداء العمرة بعد منتصف الليل .. ورأيت شيئا عجيبا. فقد حدث ونحن فى داخل الكعبة نتعلق بجدرانها وندعو الله .. ونتجه إلى أركانها ونصلى أن فوجئت بالقذافى وقد أمسك يدى وقال : نعاهد الله هنا فى هذا المكان المقدس على مساندة القضية الفلسطينية.

فقلت : لا مانع عندى .. والتقت أيدينا مع يدى ممثل منظمة فتح ..

ومن العجيب ، أو ليس من العجيب ، أن منع القذافى المعونة عن منظمة فتح لأنها لم تسايره فى عمليات الاغتيال وإثارة الدول العربية بعضها على بعض.

وحدث شئ غريب أيضا ونحن نسعى بين الصفا والمروة .. ولم ألاحظ ذلك. وإنما نبهونى إليه فيما بعد فعند المنطقة التى يجب أن نهرول فيها ، لم أكن أستطيع أن أهرول وإنما كنت أتساند على عصاى ، وإن كان الذين معى يهرولون .. أما القذافى فكان يسبقنا جريا .. ثم يتوقف بعد ذلك .. ويتكرر هذا فى كل مرة .. والغريب أنه كان يضحك بشدة .. كأن الذى يقوم به نشاط رياضى وليس من شعائر الله ، جلت قدرته وتقدمت حكمته ..

ولكن لا شئ غريبا على القذافى أو معه أو منه ..

وفى سوريا أيضا قاموا بتكريم قواتهم المسلحة. ولكنهم صفقوا كثيرا عندما تردد اسم سعد الشاذلى. لأنهم كانوا يعتقدون أن سعد الشاذلى كان ضد وقف إطلاق النار وكان من رأيه استمرار القتال .. ولم يكن أحد منهم يعرف الحقيقة وهى أن الشاذلى كان يطلب الانسحاب الكامل من سيناء ..

** ولم تكن هذه العناصر السورية ، على دراية بحقيقة الأمور ، ولا صادقة ، ولا كان يعنيها الموقف القومى العربى فى ذلك الوقت !

نقلب فى أوراق الســـادات

الأسبوع القادم إن شاء الله